الأزمة الأخلاقية ... عند العلماء

الناحية الأخلاقية في مسألة الأسلحة الكيماوية والجرثومية ، هي أبرز النواحي التي تستأثر باهتمام الإنسان ! الإنسان ، وبخاصة العالم ... الإنسان سواء كان طبيباً أو كيماوياً .

يؤدّي الأطباء ، عادةً ، قبل تخرّجهم من معاهد العلم يمين (أبو قراط HIPPOCRATES) معاهدين على التمسّك بآداب المهنة الطبية وسلوكها الرفيع في سبيل تخفيف آلام البشر . ويرد في قسم (أبو قراط) المقطع التالي :

« ... ولن أعطي سُمّاً لأي إنسان – ولو طلب مني ذلك – ولن أشير باستعماله »

... والأسلحة الكيماوية ... سموم ، والجراثيم تفرز ... السموم ، فمن الواضح إذن أن يكون يمين (أبو قراط) ... والأسلحة الكيماوية والجرثومية على طرفي نقيض .

وليس باستطاعة أية دولة أو « عصابة » تطوير وإنتاج الأسلحة الكيماوية والجرثومية بدون مساعدة الأطباء .

فما قول السادة الأطباء – في جميع أنحاء العالم – الذين يعملون في هذا الميدان ؟ ألا يشعرون (بعُقْدَةِ الذّنْب) ؟؟ ألم يمرّوا بعد بأزمة الضمير ؟؟

أم أنّ « الضمير » غائب دائماً عن عالم المادة ، والأخلاق « ثرثرة بورجوازية رجعية » ! على حدّ تعبير البعض ؟ من حسن حظ البشرية جمعاء أن يبقى فيها – حتى الآن – أطباء وعلماء ذوو ضمير حيّ .

يقول الدكتور (جوردن سميث–DR. GORDON SMITH) مدير مركز الأبحاث الميكروبيولوجية في (پورتن) بإنكلترا : إن كثيراً من العلماء العاملين عنده سيتركون العمل إذا تحوّلت الأبحاث من مواضيع وقائية دفاعية إلى مواضيع هجومية .

ويتساءل (روبين كلارك) بسخرية : وهل هناك فرق كبير بين الأبحاث الدفاعية والهجومية ؟ ويجيب على ذلك : إن الأبحاث الدفاعية لا تحتاج كبير عناء لتصبح هي نفسها مادة هجومية في أية حرب كيماوية أو جرثومية .

ويحمل الدكتور (ثيودور روز بيري–THEODOR ROSE BURY) نفس الرأي وينتقد العلماء والأطباء الأميركان الذين بدأوا هذه الأبحاث في الأربعينيات من هذا القرن على أساس أنها أبحاث « دفاعية » ! ويركّز بصورة خاصة على موضوع التجارب التي تجري على الإنسان في هذه الأبحاث ، وكيف أنها تخالف ، أصلاً ، آداب الطب وضوابط الضمير التي يجب أن يتحلى بها العلماء والأطباء ؛ ويذكر أن بعض من سموهم « متطوعين » قد أجريت عليهم تجارب الأسلحة الجرثومية كالطاعون وغيره ، ويقول : إن المبادىء الأخلاقية ليست من « الكماليات » التي يمكن الاستغناء عنها أحياناً ، فإن تقدير القيم الانسانية أمر لا غنى عنه لبقاء مهنة الطب ... ولبقاء الجنس البشري أيضاً[٩٠] .

ومن الأمور التي تلفت النظر في تاريخ الأسلحة الكيماوية والجرثومية ، أن العلماء هم الذين أوحوا باستعمالها أولاً ، وكان السياسيون هم المعارضين ؛ والسياسيون هم الذين تواجدوا في جنيف بسويسرا عام ١٩٢٥ للتوقيع على

٩٠ – الأسلحة الصامتة لروبين كلارك ، صفحة (٢١٠ و ٢١١) .

بروتوكول جنيف الذي حرّم استعمالها .

ولكن ... منذ بدء النصف الثاني من هذا القرن ، انقلب الأمر تماماً ، وظهر أن العلماء والأطباء هم المعارضون الآن ... كأنما شعروا بالذنب الذي ارتكبوه بخاصة بعدما عرفوا مدى قوة الأسلحة النووية التدميرية ومدى تأثير غازات الأعصاب على الإنسان والبشرية عامة .

ويقول (كلارك) : ازدادت معارضة العلماء في أواسط الستينيّات من هذا القرن بعد ظهور الأسلحة الكيماوية في ڤيتنام ؛ والواقع الآن يوحي بانقسام نصفي تام بين العلماء ؛ فنصفهم يدافع بحرارة !! عن هذه الأسلحة ، والنصف الآخر يهاجمها بعنف شديد لم تُهاجم بمثله أية قضية سياسية أو عسكرية أخرى .

ولقد بدأت الاحتجاجات الجدية في أميركا في ربيع عام ١٩٦٤ عندما دعا اتحاد العلماء الأميركان الرئيس الأميركي لإعلان سياسة عدم البدء باستعمال هذه الأسلحة — الكيماوية والجرثومية — ثم طلب الاتحاد التوقف عن إنتاج الأسلحة الجرثومية ؛ وكانت وجهة نظر الاتحاد أن هذه الأسلحة ستُستعمل غالباً ضد المدنيين وهذا أمر منافٍ للقيم الأخلاقية .

واعترض اتحاد العلماء الأميركان على استعمال مبيدات الزرع في ڤيتنام وقالوا : إن فيتنام تُستعمل الآن كحقل تجارب للأسلحة الكيماوية والجرثومية

وازدادت معارضة بعض العلماء الأميركان بعد ذلك ، وقدّموا عريضة للرئيس الأميركي في ١٤ شباط — فبراير — ١٩٦٧ مَهَرَها خمسة آلاف عالم بينهم اثنان وعشرون يحملون جائزة (نوبل) ، ومئة وسبعة وعشرون منهم أعضاء في الأكاديمية الأميركية للعلوم ، وحذّروا من أي تراخٍ في منع استعمال الأسلحة الكيماوية والجرثومية .